

# فضل الخطاب .. في الفرعونية!

بقلم علي بدور

ان السلطات تؤمن بالحربة ولا تشنق احدا يا صديقي لانها - فسي اعتقادي - ترك للزمن وحده صلاحية امتحان الافكار وانتخاب الصحيح منها . وانت لست الوحيد الذي يدعو للفرعونية بأكثر من اسلوب .. رغم وضوح رأي اكبر رأس في الدولة .. واقصد به سيادة الرئيس جمال عبد الناصر .. في مسألة الفرعونية . وانا لم استشهد به في ردي عليك لاعتقادي انه لم يحن الوقت لذلك .. اما الان والسلطات في رأيك تنصب المشائق فاني اريد ان أدلك على الطريق لنظمين الى ان السلطات لو كانت حقا تنصب المشائق لكان قد سبفك اليها عشرات بل مئات من الذين يسئون الى القضية العربية من حيث يدرون ولا يدرون !! هل تريد أمثلة ؟

سأستشهد لك بفقرتين من خطاب سيادة الرئيس ، تعرض فيهما للفرعونية . مرة عندما كان في اللاذقية - آذار (مارس) ١٩٥٩ - فقد نعت الفرعونية بأنها دعوة استعمارية كان يروج لها الاستعمار البريطاني بقصد عزل مصر عن العالم العربي ، ولكن مصر ضربت الطوق الذي أحكمه حولها الاستعمار وعادت الى صف اخواتها العربيات للمساهمة في حمل مشعل القومية العربية .

ومرة ثانية قال من خطاب القاه مساء ٢٢ تموز ( يوليو ) ١٩٥٩ ، احتفالا بالذكرى السابعة للثورة المظفرة : ( استنظنا نحن ان نرى القومية العربية .. نراها رايا سليما .. نرى القومية العربية التي حاول الاستعمار البريطاني منذ ان وصل الى بلادنا ان يبعثنا عنها . ويحاول الاستعمار ان يبت في انفسنا من الافكار ما يجعلنا نعتقد اننا لسنا عربا ولسنا جزءا من الامة العربية . استنظنا رغم هذه المحاولات التي استمرت - ٧٥ سنة - ان نرى الدعوة الفرعونية التي حاول الاستعمار ان يبثها بيننا ، ضمن الدعوات التي حاول ان يبثها ضمن الامة العربية - انما هي محاولة زائفة يحاول الاستعمار بها ان يعطم الامة العربية ليقتضي عليها جزءا جزءا ويقضي على العرب والقومية العربية لتحل محلها قوميات اخرى . استنظنا نحن ان نعرف مكاننا وان نعرف تاريخنا وشخصيتنا ونعرف اننا عرب ونعلن عربوتنا ، ونعلن في دستورنا اننا جزء من الامة العربية ونعود الى مكاننا الطبيعي الذي كنا فيه . )

هذا هو رأي سيادة الرئيس في الفرعونية ، وهو رأي قاطع فسي الفرعونية يدحض رأي كل من يقول ان مصر تدخل المجموعة العربية دون ان تفقد فرعونيتها ، وهو رأي مفكر قومي عربي أصيل وضع النقاط على الحروف بصدد الدعوات التي حاول الاستعمار ان يبثها ضمن الامة العربية في المنطقة ليقتضي عليها جزءا جزءا كالاشورية في العراق والفينيقية في لبنان ، والفرعونية في مصر . وسيادة الرئيس لو شاء لمنع الكلام في الفرعونية من اساسه . ولكنه يريد ان تنفس الفكرة العربية تنفسا طبيعيا وان تنمو نموا سليما .. وهي قادرة بذلك ان تحض كل الافكار الاستعمارية الاخرى . ذلك ان الذين يروجون للفرعونية لو عن حسن نية - معروفون . وهانذا استشهد بفقرات

(\*) قبل ان ابدا حديثي اريد ان اجلو للسادة القراء نقطتين . اما النقطة الاولى فهي ان الاستاذ الصديق غالي شكري في رده المنشور بالعدد الماضي « فرعون من جديد - العدد الثالث صفحة ٦١ » قد اعتبر الكلام منتها من جهته . واني رغم موافقتي على هذا الرأي من ناحيته اعتقد ان الموضوع لو كان شخصيا بحثنا لجاز الاتفاق على ذلك . ولكن الفكرة اكبر من كليتنا واعمق بكثير من مجرد مناقشة ورد عليها ، لانها تعني في اعتقادي قضية الوحدة بين الاقليمين والقومية العربية وتصفية الاجواء الفكرية من اثار الثقافات الاستعمارية التي غرسها الاستعمار في المنطقة ، كما تعني ايقاف الدجل الفكري عند حده وفتح صفحة جديدة من صفحات التفكير الحر والوعي الصحيح ، والارادة القوية التي ان امتت بفكرة مشتت الى الامام دون ان ترهب المشائق ولا غرف الضاز ، لان حرية الفكر منحة من الله وليست من الانسان . وكل ظني ان صفحات مجلة الاداب - بالاذن من صاحب الاداب - ستبقى مفتوحة لكل من يريد ان يبدي رأيه في الموضوع سواء اكان مع العروبة ام مع الفرعونية ، او مع كليهما ، لاعتقادي ان العروبة والفرعونية لا تلتقيان .. وهذا عكس ما يراه الاستاذ غالي وما سوف تعرض له وشيكا !!

اما النقطة الثانية فهي قصة الاستشهاد بفقرة من خطاب ارسله له الصديق الاستاذ عدنان الداعوق يقول فيها ( ان مقالك هذا اثار من حولنا فجة .. وقد كلف الاستاذ علي بدور بالرد عليك وارسل رده للاداب ) . والواقع انني في عجب اكثر من عجب الاستاذ غالي .. لاني اخبرت الاستاذ عدنان بقصة الرد وارساله للاداب ، وهذا كل ما في الامر بالتحديد القاطع . ولا ادري الان كيف جاءت كلمة التكليف هذه في رسالته ؟ هل يعتبر الحماسة للرد من قبله والتشجيع عليه تكليفا منه الي ؟ اني بكل تواضع اقبل هذا التفسير رغم وقعه الؤلم في النفس ! اما تفسير الاستاذ غالي للتكليف من انني لست صاحب الرد بالمره وسؤاله عن كلفني فارجو ان يتأكد ان الذي سوف يكلفني - حسب تفسيره - لم يخلق بعد .. ولن يخلق ما دمت حيا لان الله يحب ان يكثر السادة بين حملة الاقلام وليس العبيد !!

والان نبدا الحديث عن الفراعنة الذين يدافعون عن انفسهم .. وعن الفرعونية !!

يقول الاستاذ غالي انني بكل بساطة استعديت عليه بتهم عديدة يكفي ان تنصب مشنقة لاقلاها . ولكن بكل يقظة وانتباه اقول له انني كمواطن عربي اؤمن بالوحدة العربية والقومية العربية لا اؤمن باي سلاح يشهر في وجه من حمل قلما يدافع به عن فكرته . وبوحي من هذا الايمان قرأت دفاعه عن محمد وكتبت ردي عليه ، وبوحي من هذا الايمان اقرأ رده علي ( فرعون من جديد ) واكتب ردي على هذا الفرعون الظريف !!

(\*) يراجع في ذلك : ( دفاع عن محمد - الاداب - العدد ١٢/١٩٥٩ )  
( عندما تدافع الفرعونية عن محمد - الاداب - العدد ٢/١٩٦٠ ) و ( فرعون من جديد - الاداب - العدد ٣/١٩٦٠ )

واخبار تنشرها بعض صحف القاهرة ومجلاتها ، لو شاءت السلطات ان تحاسب كاتبها لوجدت مادة الجريمة الفكرية - ان صح التعبير - واضحة ولاستمناعت بكلام السيد الرئيس في الفرعونية لوضع الانصبة والحدود في حق العابثين . ولكن السلطات لا تريد ان تحارب الفكرة بالعنف ، بل تريد ان تحارب الفكرة بالفكرة !

ان العبارات التي توشح صفحات اكثر المجلات والجرائد ب - اجدانا الفراعنة - كثيرة . واولئك الذين يحيون موات التماثيل كلما اقدمت الجمهورية العربية على مشروع حيوي ليصلوا حاضر الجمهورية بماضيها الفرعوني .. هؤلاء ايضا كثيرون . فهذا سنوسرت الثالث اول ملك فرعوني شق قناة ينبيغي ان ينقل تماثله ليتربع على قاعدة تماثل ده لسبس في بور سعيد ( الاخبار ٢٢-١-٩٥٩ صفحة ٣ ) . وهذا اول ملك فرعوني بنى سدا ينبيغي ان تعرفه الاجيال الصاعدة في مناسبة بناء السد العالي ( صفحة الفلاف من مجلة المصور ) . وهذا امئحتب الذي حقق الاتحاد بين مصر والاقليم الشمالي لاول مرة في ٢٦ ايار ( مايو ) منذ ٢٤٠٠ سنة عندما وصلت جيوشه الى اراضي الاقليم الشمالي (الاهرام ٢٢-٥-٩٥٩ صفحة ٥) . وهذا رمسيس الثاني الذي حقق الوحدة عندما طرد الحثيين في معركة قادش ( اكثر الصحف والمجلات الصادرة في القاهرة .. ولاكثر من مرة في العام الواحد ! ) . وهذه جريدة ( وطني ) التي اتخذت الشعارات الفرعونية رمزا لها ، ولون العلم في مصر قبل الوحدة لونها لشعارها . وهي الجريدة التي عناها الاستاذ محيي الدين محمد في مقاله المشهور في العدد الثالث عن النشاط الفكري في الاقليم الجنوبي ، هذه الجريدة تقول حتى الان كلاما مسموما في العرب والعروبة ولو من بعيد ، وكلاما في الفرعونية جد واضح فهي على لسان احد الكتاب فيها تقول ان الفرعونية اثرت في المسيحية والاسلام لانها منحتهما اهتمام الراهب والشيخ بالتعليم ، مثل ما كان يفعل الكهان الفراعنة ! وعلى لسان اخر تقول ان الجلوس في حلقات حول المدرس في الجوامع الاسلامية في مصر ، انما هو اختراع (مسروق) سجلته اول جامعة فرعونية في العالم ! وكذلك فان قرع الطبول للفرح ساعة خسوفه عادة فرعونية قديمة .. ليست معروفة الان الا في الاقليم الجنوبي - رغم انها معروفة - والقصد منها ان المجتمع في مصر لا يزال على عاداته الفرعونية !! واكثر من هذا .. ان الدكتور عبد الحميد يونس نشر كتابا صغيرا عن ( مجتمعا ) لخصته له جريدة المساء عام ١٩٥٩ يقول فيه بما معناه : ان المجتمع المصري وحدة خالصة منفصلة عن سائر المجتمعات التي حولها لاربعة اسباب : الجبال المحاذية للبحر الاحمر وللصحراء الغربية - الصحراء - والنيل في وسطها - والشمس التي يصنع المواطنين صورها على الخبز ويلقي اليها الاطفال باسنانهم لتثبت من جديد . وسأترك للقراء التعليق على هذه الخصائص الفريدة التي تميز مجتمعا في هذا الزمان !! وكذلك ما قاله محرر العمود السياسي في ( الاخبار ) يوم زار امبراطور الحبشة القاهرة زيارة رسمية في اوائل صيف العام الماضي ، واصفا العلاقات بانها كانت « جد وطيدة بين الاقليم الجنوبي واثيوبيا ايام المصريين القدماء .. والحكام العرب .. والعصر الحديث » فرؤية مصر هي عروبة حكام لدى السيد السند الفهلوي وليست عروبة شعب باكملة كما قال سيادة الرئيس اكثر من مرة . ولم تجد ( الاهرام ) من كلام تقوله - بعد الذي قالته عن امئحتب ورمسيس الثاني - في عيد الجيش اكثر من قولها بان جيشنا العربي هو استمرار لجيش عمره اربعة الاف سنة ( جيش الفراعين ) .. الخ ..

ان السلطات لا تشفق احدا يا صديقي الغالي فلا تخش على نفسك.

والحرية الفكرية - التي تصرخ مطالبا بها - في الجمهورية العربية المتحدة مباحة الى هذه الدرجة التي يراها كل ذي ضمير . ولا اعتقد انه يمكن لاية دولة تؤمن بمثل هذه الحرية الفكرية وادباء وصحفيين يتحدثون عن عروبة مصر والقومية العربية ويطنونها من الخلف بمثل ما يتحدثون ويطنون .. ويمجدون الفرعونية بمثل ما يمجدون رغم ما تنشره الصحف ويطلع عليه الناس كافة من آراء سيادة الرئيس في الفرعونية ودعاتها . ولكن الدولة تسمح بذلك كله كما قلت - في اعتقادي - لايمانها ان الفكرة القومية التي تنتشر هي الفكرة التي تنمو طبيعيا لا اعتسافا ولذلك ارجو من الصديق ان يطمئن .. لان الحرية الفكرية التي يطلبها موجودة ، واقواله التي يقولها هو وامثاله ، دليل هذه الحرية . ولو كان الكلام الذي قاله يستحق التشق عليه ، وكانت السلطات تشق احدا لكان من الواجب القومي ان يجد امامه مئة رقة مدلاة على الاقل . ولكن الاقلام لا تشق والافكار لا تشقق الا افكار مثلها .. ولكنها اقوى منها !!

فاذا كنت مناسفا لهذا الكلام الذي قلته انا عن الفرعونية وانصارها ، فاني كمواطن التزم باقوال سيادة رئيس جمهوريتنا في الفرعونية والداعين لها والاستعمار الذي شجع عليها وحماها . ولن اقبل بغير هذا القول الواضح الصريح .. وهو حجة قاطعة على اي كلام اخر يمتدح الفرعونية ويعتبرها من العوامل الاساسية في بناء الوحدة بين مصر وسوريا بخاصة والوحدة الشاملة بعامة . لان الرئيس قال بان الفرعونية دعوة استعمارية كان يروج لها الاستعمار البريطاني بقصد عزل مصر عن اخواتها العربيات . ولا يمكن لنا ان نصدق كلاما اخر يقوله اي انسان من ان الفرعونية تدعم الوحدة بعد ان كان الرئيس قد قال انها دعوة استعمارية يقصد بها عزل مصر عن شقيقاتها . ولا اعتقد ان دعوة تعزل مصر عن شقيقاتها كما يقول الرئيس ، يمكن لها ان تدعم الوحدة بفتحاتها الامبراطورية القديمة كما يقول دعاء الفرعونية !!

واذا كان يحق للسادة المدافعين عن الفرعونية ان يتأثروا .. فماذا نقول نحن المؤمنين بالعروبة لبعض حملة الاقلام اولئك الذين يريدون ان يكونوا اساتذة قوميين في الفكرة القومية وهم اجهل الجهلاء . انهم يحدثوننا عن امئحتب الذي حقق الاتحاد وعن رمسيس الثاني الذي حقق الوحدة .. ومثله هراء كثير يستوي وما يقوله اعداء القومية العربية والوحدة من حملة الفكرة الشيوعية او المنادين بالاقليمية الضيقة او الطائفية البغيضة في اي بلد عربي ضد عروبة الجمهورية المتحدة ، متخذين ما تنشره صحف معروفة عن الفرعونية وسيلة للدس على القومية العربية ودرعها الجمهورية العربية المتحدة حاضرا ومستقبلا . ولكن عزاءنا الوحيد ان هؤلاء المنحرفين قوميا ، قلة وانهم لا يمثلون وجه مصر العربي باي حال من الاحوال ولا تلقى دعوتهم اذنا صاغية ، وان كانوا يسيئون للقضية العربية لتناسيهم ان الوحدة بين الاقليمين ليست استمرارا لوحدة الفتح والضم في التاريخ القديم ، ولان العروبة عندما صبغت المنطقة بالصبغة العربية ، وضعت على رف التاريخ القديم ، كل امجاد الفراعين ، وكل خيلاء الفينيقيين ، وكل غرور اشور ، ودفنت الى الابد عربة رمسيس الثاني في الرمال !! وما دام هؤلاء الذين ينادون بالفرعونية لا يمشاون وجه مصر العربي ، فان مصر العربية لا تعترف بامجاد اي فروع من امئحتب الى رمسيس الثاني .

بعد هذا كله سوف ارد على الفقرات التي ذيل بها الاستاذ الصديق غالي شكري مقاله عن الفرعونية الى المجلة الانجليزية اياها !!

■ هنالك فرق كبير بين الاسلام والعرب . كما ان هنالك فرقا كبيرا

بين ان تدخل اللغة العربية مصر بواسطة العرب كعرب .. وبين ان تدخل بواسطة المسلمين .. ولو كان جميعهم عربا .. او كان اكثرهم من العرب لان العروبة فكرة والاسلام دين . تستمد هذه الفكرة مقوماتها من الحياة الاجتماعية واللغة والتاريخ في التطور العام . وليس للعروبة دين معين . ولكن لها لغة واحدة هي اللغة العربية التي كان يتكلمها العرب قبل الاسلام ونزل بها كلام الله على نبيه العربي .. فلما انتشر الدين الاسلامي انتشرت اللغة العربية . فمن تكلم هذه اللغة العربية ولو لم يكن مسلما واعتبرها معبرة عن احساسه وجدانه ، واندمج في الحياة الجديدة التي انطبعت بالطابع العربي بعاداتها وتقاليدها ومقومات حضارتها وتراث فكرها الاصيل ، اضحى عربيا بمقومات وجوده الانساني اولا ، وبمقومات وجوده القومي ثانيا ، وبمقومات وجوده الوطني ثالثا . فهو انسان عربي تجاه العالم . وهو قومي عربي تجاه الامة . وهو عربي وطني تجاه الدولة . لان العروبة لا تقوم على الدم اذ يستوى لديها اثنان احدهما عربي بدمه والاخر عربي بوجوده .

والفكرة الاساسية التي اريد ان افولها الان كما قلتها من قبل هي ان المسلمين الذين دخلوا مصر لم يكونوا جيشا فاتحا بقدر ما كانوا جيشا من الدعاة للدين الجديد استوطن افراده البلد ونشروا لغتهم وعاشوا في تالف مع اخوانهم الاقباط ، وطبعوا البلد بطابعهم العربي دون اكراه او ضغط - وهذا ما حصل في المنطقة العربية كلها - . والا فكيف يتكلم اخواننا الاقباط اللغة العربية فيما بينهم وفي كنائسهم دون ان يدخلوا الاسلام اذا لم يكن التمازج هادئا بغير عنف ولا اكراه .. وهلا حصل مثل هذا التمازج في تاريخ الشعوب والدول بين حبشي فاتح غاز وشعب يقاوم الغزاة الفاتحين ؟ لعل الاستاذ غالي يذكر مثلا واحدا ؟ وهؤلاء الانجليز ظلوا اربعماية سنة في الهند دون ان يستطيعوا فرض لغتهم على الشعب يتكلمها في حياته اليومية ومعابده الروحية . كما انه ليس في التاريخ العام نص واحد يدل على انه كان لمصر وقت فهاب المسلمين اليها شخصية دولة او كيان حضاري واضح . ذلك انه بين تقسّوض الفرعونية لآخر مرة كدولة على يد الفرس ، وبين ذهاب المسلمين ، قرابة الف عام ساد فيها الرومان واليونان . والمسلمون اذا كانوا قد حاربوا فانما قد حاربوا بقايا اليونان والرومان . فلما جاءوا كانوا يحملون فكرة عن الدين وفكرة عن الدولة . الدولة لاقامة العدل .. والدين دين الدلة . فمن شاء ان يبقى على دينه دفع الجزية ومن دخل الاسلام اعفى منها . ولا اعتقد ان هذا الحل مناف للعدل ليس في ذلك الزمان .. بل في ظل دولة دينية . فلو كانت المسيحية دين شعب خاص فسي البداية ، ودين دولة ما فيما بعد ، نهجت نفس النهج ولا اريد ان اذكر بعض لحظات التعصب عندما اجبروا مسلمي اسبانيا على التنصر فمن ابي سافوه الى النار !

هذه هي الخطوط العريضة للعروبة والاسلام . فالعروبة الان فكرة الشعب العربي بين المحيط والخليج .. عناصر هذه الفكرة ، وحدة التاريخ العربي - وليس تاريخ العرب قطعا - ووحدة الفكر العربي، ووحدة العاطفة والمشاعر ووحدة الماضي والحاضر والمستقبل . اما الدين فان المسيحية والاسلام معا ، دينان لامة العرب . والجمهورية العربية المتحدة كدولة لم تنص في دستورها الوقت الحالي على دين معين ليكون ديننا للدولة ، رغم وجود دول تقدمية جدا في اوربا وامريكا لا تزال تنص على دين معين للدولة . والجمهورية العربية المتحدة دولة من نبت القومية العربية فكرة لا تقوم على عنصرية معينة ، ولا طائفية

معينة كما قال سيادة الرئيس في حديثه لاعضاء الاتحاد القومي باللاذقية خلال زيارته الاخيرة لها .

■ انك لا تزال حتى الان تعتبر ان حياة الدكتور الصديق نظمي لوقا ، قصة . وهذا في رأيي من العجائب - ولعله في رأي الدكتور لوقا ايضا . ؟ - فلو فرضنا انها قصة حقيقية اولا قد اكتملت عناصرها الفنية ، فهل يحق لاي كاتب في العالم ان يدرس هذه القصة دراسة اخناتونية على طريقتك ، لتصل بيطل القصة الشيخ المسلم والتلميذ الصغير الطالب القبطي الى ابي التوحيد اخناتون ؟ هل هذه دراسة نقدية للقصة رغم انها قصة .. ام انها دراسة فرعونية يا صديقي ؟ وهل التحاب والتآلف بين الدينين المسيحي والاسلامي ، كما يعترف به القرآن الكريم والسادة علماء المسيحية والاسلام - واعفنا من العنفات - هو تحاب وتآلف مفتعل ؟ وهل ينبغي ان يكون حب المسلم وحب القبطي في مصر نابعا من صلب اخناتون كي نؤمن انه حب حقيقي ؟ اليس في ذلك اساءة لكل مسيحي يحب مسلما لم يتحدر من صلب اخناتون في هذا العالم .. ولكل مسلم يحب مسيحيا لم يحظ بمثل هذا الشرف العنصري الذي اسبقته على الشيخ المسكين وتلميذه الدكتور نظمي لوقا ؟ اما رايت بان الناقد قد يوافق على تفسير الكاتب او العكس .. فان هذا يصح في قصة .. اما في حياة ، فانه يتوقف على رأي الكاتب ايضا ، بان يقول هل هو موافق على تفسير الناقد .. وخصوصا اذا كان هنا التفسير ، يقصد به اشياء غريبة ، مريبة ، تبطل الغاية من الكتاب وتعطلها .

■ تتهمني بصياغة ارائك صياغة مفككة ركيكة . حسنا . انني ارجو من السادة القراء ان يرجعوا لمقالك(دفاع عن محمد - الاداب - كانونالاول ١٩٥٩ - صفحة ١٩ ) لانني على ثقة من انهم سوف يجدون الكثير مما تستحق عليه مناقشة اكثر طولا .. واكثر الحاحا لظهار الحقيقة .

والان فاني اعتقد انه بات على الصديق الدكتور نظمي لوقا ، ابداء رايه في تحليلك لكتابه، لايماني انه لا يوافقك على كل ما جاء فيه، لسبب بسيط هو ان وزارة التربية والتعليم قد تبنت الكتاب تقريبا واشترت منه الوف النسخ ، وقدم له سيادة وزير التربية والتعليم المركزي . ولا اظن ان الوزارة بله سيادة الوزير ، يقبل ان يقدم لكتاب ويامر بشراء هذه الالوف منه ، وهو لو فسر حسب طريقتك، لظهر من الدعاية للفرعونية بما لم يخطر على ذهن بشر . وسيادة الوزير الذي يعرف راي سيادة الرئيس في الفرعونية قبلنا جميعا ، لا يمكن ان يقبل ان يكون في هذا الكتاب - اذا ظل صاحبه صامتا - من العناصر التي تدفع كاتبها لان يشتم العرب والعروبة ويظهر الاسلام بمظهر الدخيل على مصر ويضع العرب الى جانب الغزاة الذين غزوا مصر كالترك والانجليز ! فاذا كان الدكتور لوقا لا يريد ان يتدخل في هذه المناقشة ، فانه من واجب الوزارة ان تساله تفسيرا صحيحا ورايا قاطعا يعيد به عن كتابه الشبهات ، وانني لملى ثقة من ان الوزارة ستفعل ذلك . وهذا كله يبدو ضروريا قبل كتابة الكتابة الثاني ( دفاع عن محمد ) ، لانه من الامتحان للفكر الحر والقصائد السليمة ان تؤلف الكتب عن الرسائل السماوية وانبيائها ، لتفسر هذا التفسير الفرعوني .. الذي يسيء لكل فكرة نبيلة ورسالة سماوية سامية .

■ اما سوء التفاهم بيني وبين اخناتون ، فهو ليس سوء تفاهم بيني وبينك مثلا لا سمح الله ، ذلك انني احترم كل الحضارات القديمة وكل ثقافتها وكل آثارها ، ان كان ثمة ثقافات واثار ، لانها ملك عام للانسانية كلها ولكن عندما يحاول احد ان يتعدى حدود المنطق الصحيح ليدخل على

ولو درسنا الان بشيء من الدقة ، تطور الحضارات القديمة التي انتهت في المنطقة ومحاولة الاستعمار بعثا من مراقدها وتقييمها على اسس عنصري وعزل العرب كسحب في جزيرتهم ، ومحاربة اللغة العربية محاربة لا هودة فيها بجعلها لغة ثانية او عدم تدريسها بالمرّة وطمس التاريخ العربي في المنطقة واحياء التواريخ القديمة وتدريسها بالتوسع الملموس واستنباط قيم فنية وادبية وروحية منها بقصد تدعيم العزلة، اقول لو درسنا ذلك كله لتبين لنا الطريق الذي اعده الاستعمار للعرب والعروبة .

فما هو موقف الامة العربية وشعبها العربي من هذه التيارات كلها ؟ هل تقبل ما شجع عليه الاستعمار واقامه من بناء فكري في ربوعها ، ام تقومه حسب مفهومها الخاص للثقافة والافكار والحضارات ، وخطط الاستعمار الرهيبة ؟

ذلك ان العرب كسحب ، والعروبة كفضية ، وحدث هذه المنطقة من محيطها الى خليجها .. رغم اساءة بعض الحكام الضالعين مع الاستعمار التركي والانجليزي والفرنسي والاطالي ، فان ذلك كله لم يمنع سكان المنطقة في اكثريتهم من التمسك بمقومات حياتهم العربية وثقافتهم العربية وامالهم لخير العروبة .. وان ما يردده الاستعمار ويقوله الاعوان عن اللغة العربية ، هو كلام رخيص ، لانه لا يستطيع شعب في العالم ان يستغني عن لغة يتكلمها اذا قام فيه من يقول ان اللغة ليست من مقومات بناء الامم . لان اللغة اذا اتحدت مع التاريخ فانها تقو قوة لا تقهر . واللغة العربية والتاريخ العربي في المنطقة هما جناحا القومية العربية التي ينادي بها العرب اليوم ضد التجزئة والحدود السياسية التي اقامها الاستعمار ، وضد الحضارات القديمة عندما ارادها الاستعمار استمرارا لتطورنا الحديث مقابل طمس الفترة العربية الطويلة التي تعد بدءا جديدا لحياة شعب المنطقة من المحيط الى الخليج .

والصديق الاستاذ غالي شكري يقول ان الفرعونية في مصر كانت دعوة وطنية ضد الاتراك . وهذا رأي جديد لم يقله احد من المؤرخين . لان بداية دراسة التاريخ القديم لمصر تمت على يدي بعثة نابليون . وزادت حمى البحث عن الآثار في ايام محمد علي الى ان احتل الانجليز مصر . فلما تم لهم ما ارادوا بدأوا يروجون لهذه الآثار في ادمغة الجيل كله . ولعل الاستاذ غالي لا يجهل ان دنلوب هو اول مخطط لفرعنة مصر - لا بقصد انتفاضتها على الانجليز - بل لفضله عن البلاد العربية واطهار العروبة في مصر بمظهر الفائزة ، بالاضافة الى ما اعتمده من برامج تسحق الشخصية وتبليدها وتقضي على حرية الفرد وحرية امته . وهذا هو سيادة الرئيس جمال عبد الناصر يخطب في ١٧ يوليو ( تموز ) ١٩٥٣ بمعسكر الطلبة في مرسى مطروح فيقول : ( اننا الان لا نعتقد اننا قمنا بنهضة او اننا قمنا بثورة فما زالت تعاليم دنلوب متغلغلة في التعليم ، وسياسته متفشية في بيئاتنا الثقافية ) . فما هي تعاليم دنلوب وسياسته با صديقي ؟ ليست بعث الفرعونية من مراقدها ، وفرض ابطالها وقيمتها - ان كان ثمة قيم - على الشعب، مقابل طمس عروبة مصر واصالة مصر العربية بضعة فاتحين وبضعة معارك وبعرية ركبها رمسيس الثاني ذات يوم ! ان مصر لم تستقل لانها كانت تنادي بالفرعونية ضد الاتراك كدعوة رومانية ، او ضد الانجليز كدعوة قومية تعني ان مصر للمصريين ، كما تقول !! ان مصر استقلت استقلالاً حقيقياً عندما وجدت طريقها نحو العروبة .. فلو ظلت ثورة مصر ثورة مصرية بحتة ، لما استطاعت ان تنتصر على الانجليز بهذه المدة . لقد انتصرت على الاستعمار عندما سرف

تاريخنا العربي حضارات انتهت ويصلنا بمن ذهبوا الى غير رجعة فاني استطع ان اقول في هذا الوقت للمؤرخين : كفى ! لان رمسيس وامنحتب وسنوسرت واخناتون .. و.. و ، كلهم يمكن ان ندرسهم على انهم يمثلون جزءا من تاريخ الشرق القديم وهذا ما ستسير عليه وزارة التربية في برامجها التاريخية الجديدة . ولكن عندما تشرع الاقلام المسمومة والايدي المشلولة لتبث الحياة في الجثث المحنطة وتزييف حياة شعب بأكمله ، وتسيء الى قضية عربية تخوض معركتها ضد الاستعمار والتبعية وانصار التجزئة والاقليمية والامبراطوريات المنقرضة ، فانه يغدو واجبا على جميع العرب ، ان يوقفوا هذا الزحف الخبيء الذي يسم حياة الملايين من اجيالنا العربية ، لانه يفرض عليها ماضيا فارغا قد تلاشى ، لا حياة فيه، ويحقق حلما من احلام الاستعمار واحلام دنلوب في ان تكون مصر فرعونية لا عربية . هذه هي قصة الخصام مع اخناتون ، فلماذا لا تتركون الرافدين في مراقدهم دون ان تشرخوا جثثهم على الناس . آمنوا بتاريخ مصر العربي اولا ، وتحذثوا عنه واستلهموا ابطاله وعباقرته ، ثم تحدثوا عن اخناتون وابي الهول ، وخوفو ومنقرعو وسنوسرت كما تشاعون . اما ان تبدأوا من المؤخرة لتطمسوا القديمة فهذا الذي نحاربه ما حيننا . اليس عجيبا ان يستشهد انصار الفرعونية بمعركة قادش التي انتصر فيها رمسيس الثاني ، ويجيوش امنحتب التي وصلت الى اراضي الاقليم الشمالي ، وان لا يتحدث واحد منهم ولو مرة واحدة عن معركة حطين او معركة عين جالوت . مع العلم ان سيادة الرئيس عندما كان يتحدث عن وحدة الماضي لم يكن يرجع لاكثر من التاريخ العربي في المنطقة ، فاذا جاء دور المعارك استشهد بحطين وعين جالوت فحسب !!

والان تعال نناقش في مقالك الاخير الذي بعثت به لجلة نيو ستيتسمان البريطانية . وخلصته انك تؤرخ حركة النضال ضد الاتراك وضد الانجليز بالدعوة للفرعونية .. وان مصر لم تفقد جنسيتها عندما آمنت بالعروبة لانها اضافت اليها غنى جديدا .. وتسالني هل يمكن ان يكون قائل هذه الكلمات تلميذا لدنلوب ؟ وجوابي على هذا كله ليس لك فقط بل للسادة القراء ايضا ، لانني لن اناقش الفرعونية الان .. بل ساترك ذلك للسطور الاخيرة !!

ان الروح العربية ظاهرة في البلاد العربية بنسب واحدة رغم الاستعمار التركي والاستعمار البريطاني الفرنسي الايطالي . وهي لا تتصل بالدم مثل ما تتصل بالمقومات الفكرية والعاطفية ووحدة الماضي والام الحاضر وتحفزه وآمال المستقبل كلها . والمتبع لخطط الاستعمار يجد انها كانت متشابهة في المنطقة ، فقد وجه بعثاته ومؤرخيه وعلماءه الى دراسة الشعب العربي في المنطقة على اساسين :

١ - اساس عنصري يعود بالعرب الى جزيرتهم

٢ - اساس حضاري يهدف الى كشف تاريخ المنطقة القديم وبعث امجاده وفرصها على الاجيال الجديدة لتكون هذه الامجاد القديمة ، بمثابة قوميات تدعم الحدود السياسية التي اقامها او التي سوف يقيمها بين ارجاء الوطن العربي الواحد . فكانت الدعوة للفرعونية في مصر .. والدعوة الاسرائيلية في فلسطين ، والدعوة للسورية القومية في سوريا ولبنان . والدعوة للاشورية في العراق ولليبرية في المغرب ، بقصد اظهار الحياة العربية بمظهر الحياة الدخيلة واللغة العربية ، لغة غزاة مستعمرين بالاضافة الى تشجيع الدعوات المنصرية في المنطقة والحديث عن الدم العربي والدم غير العربي .. وبذلك استطاع الاستعمار الى حد ما ان يبني قواعد الامامية للهجوم على استقلال هذه الشعوب وحريتها .

الاجانب فحسب دون ان يكون له من المفاخر التي يعتز بها ويجعلها من اسس تماسك الشخصية القومية عندما يلتحم التاريخ الحي باللغة العبرية . فلما قامت ثورة مصر عام ١٩٥٢ وتبلورت وتطورت ، عادت بمصر الى جادة العروبة ، فارتبط النضال بالنضال وتقوضت خطط الاستعمار في الداخل والخارج فكان الجلاء وكان الاستقلال ولما كان هذا الاستقلال يعني تحطيم الحدود والسدود ، التفت الموجة التحررية المنبعثة من سوريا بالموجة التحررية المنبعثة من مصر التقاء حرا كريما فكانت الجمهورية العربية المتحدة في ظلال علم الوحدة والقومية العربية ورئاسة قيادة جمال عبد الناصر المخلصة .

وما يقال الان عن الفرعونية وينشر في الصحف المحلية والاجنبية من ان مصر لم تفقد جنسيتها الفرعونية عندما نادت بالعروبة لانها زادت من ساحة مسؤوليتها واهتمامها ، فهو كلام يحتاج الى مراجعة عميقة ، لان الفكرة القائلة بان الشعب المصري وحدة متماسكة رغم اليونان والرومان والعرب ورغم اليهودية والمسيحية والاسلام . انما هو كلام خرافة لا يصدقه تلامذة رياض الاطفال . . وان كانت الحقيقة المعروفة هي ان مصر مصران : مصر القديمة التي اذاب شخصيتها الفرس واليونان والرومان ، ومصر الجديدة التي كونت العروبة شخصيتها . وليس بينهما من اتصال سوى الارض . وكل كلام يقال سوى ذلك يبقى موضع شك الى ان يقبله العقل والمنطق السليمان . لان تاريخ العرب القومي هو امتداد العرب وتفاعلهم ضمن حدود الزمان والمكان . فالمكان بين المحيط والخليج ، والزمان منذ بدأ سكان المنطقة يتكلمون اللغة العربية ويعيشون تاريخ الامة العربية بين المحيط والخليج . واذا كانت الارض العربية من المحيط الى الخليج قد كانت في التاريخ القديم ، في بعض اجزاء منها ، مسرحا لحركة تفاعل ادتها شعوب اخرى ليس منها الشعب العربي ، وتمثلت في حضارات متنوعة ليس منها الحضارة العربية ، فان الامة العربية بوجودها الحي قد وضعت على رف التاريخ القديم سير كل هذه الشعوب المنقرضة بتواريخها ولغاتنا المينة وعاداتها الاجتماعية التي لم يعد احد يتبناها او يعرفها بعد ان حلت محلها اللغة العربية والعادات العربية والحياة العربية . فتاريخ المنطقة كله اذن تاريخان : تاريخ قديم متنافر مختلف ليس للعروبة علاقة به على الاطلاق ، وتاريخ حديث حي هو تاريخ الامة العربية من محيطها الى خليجها ، فيه مقومات الوحدة الشاملة ليس بين قطرين عربيين كمصر وسوريا فحسب ، بل بين سائر الاقطار العربية .

ومصر العربية - وليست مصر الفرعونية - قد وجدت طريقها العربي الصحيح . وهي لم تفقد جنسيتها الفرعونية - كما يقول المحرر البريطاني معبرا بذلك عن اسف حكومته لضياح ما عملت له طيلة امد الاحتلال - لانها لم تكن لها هذه الجنسية الفرعونية اصلا . وهي لم تدخل ساحة الامة العربية مضيئة الى جنسيتها الفرعونية غنى جديدا كما يقول الاستاذ الصديق غالي شكري ، بل لانها وجدت طريقها الصحيح كما عبر بذلك سيادة الرئيس في الالذقية عام ١٩٥٩ عندما نعمت الفرعونية بانها دعوة استعمارية كان يروج لها الاستعمار البريطاني يقصد عزل مصر من العالم العربي ، ولكن مصر مزقت الطوق الذي احكمه حولها الاستعمار ، وعادت الى صف اخواتها العربيات للمساهمة في حمل مشعل القومية العربية . فاهلا بمصر العربية في ساحة النضال العربي الاصيل واهلا بالاقليم الجنوبي في ساحة الجمهورية العربية المتحدة تحت راية القومية العربية : رسالة الوحدة والقوة والبناء .

علي بنور

حمص

الاستعمار ان مصر لم تعد وحدها . . لقد اضحت العالم العربي كله . . ذابت فيه ، وذاب فيها . فقد اضحى لاستقلال كل قطر عربي استقلالا حقيقيا ان تخلص قيادته لفكرة العروبة وان يصحى شعبه في سبيلها وان يرتبط النضال فيه بنضال سائر اقطار الامة العربية . فالاستعمار اقوى من كل قطر عربي على حدة ، ولكنه اضعف منها اذا اجتمعت . وثورة الجزائر خير دليل على اخلاص القيادة واخلاص الشعب وتكاتف سائر اقطار العروبة لنصرتها . وستنتصر !

ان جريمة الاستعمار ليست هينة لانه المسؤول عن بلبله الثقافية القومية في مصر وعن ضياع الجيل بأكمله . لقد فرض على الجيل ابطلا لا يحس بهم ولا بلغتهم ولا بمشاعرهم . . وانسأه كل ابطاله العرب الذين عاشوا وولدوا في مصر او عاشوا وولدوا في سائر البلاد العربية ، وصور له اللغة العربية بصورة كلمات تنقصها الحياة ، اذ تنطقها الافواه فلا تحس القلوب بوهجها ولا العقول بومضها ، وقام من يدعو الى اللهجة العامية - واسمها لغة !! - او كتابة العربية بأحرف جديدة ممسوخة او بأحرف لاتينية صرفة ، وملئت ادمغة الجيل بمعلومات تاريخية وادبية وفنية مستمدة من التاريخ الفرعوني لا يقصد منها اكثر من محاربة العرب والعروبة وعزل مصر نهائيا عن العرب والعروبة ، واضحى الشعب العربي في مصر يوشك ان يتعرف الى شخصيته وهي مرسومة على وجوه السياح

